أوراق كويتية (18)

العناية الصحية في الكويت.. كيف بدأت ومتى؟

- الشيخ مبارك الصباح أحرج الكابتن ناكس ودفعه لفتح المجال أمام الأهالي لتلقي العلاج لدى الطبيب الخاص بالوكالة السياسية البريطانية بالكويت
- العناية الطبية الحقيقية بدأت بنشأة مستشفى الإرسالية الأميركية في 1912 وأبناء الكويت هبوا لإنشاء المستوصف الخيري وانتدبوا طبيباً وممرضاً تركيين
- الحكومة أنشأت أول مستوصف رسمي في 1939 واشتهر باسم الدختر السوري نسبة للدكتور يحيى الحديدي ثاني طبيب يعمل بدائرة الصحة بعد د.عمر سلامة اللبناني
- موقع مَلَح مشهور منذ القدم وورد في أشعار المتقدمين والمتأخرين والمقوع لم يبرز إلا بعد أن استغلته شركة نفط الكويت ببداية أعمالها
- ليس لملح ولا للمقوع أهمية سكانية لكنهما كانا يضمان مساكن مؤقتة في الخمسينيات وبعد البدء جدياً في التنقيب عن النفط أصبح المقوع مقراً لعدد كبير من العاملين

بقلم:
د.يعقوب يوسف الغنيم

بعض فصولنا هذه يحتاج الى إفاضة، ومزيد ايضاح، وذلك بحسب الموضوعات المدرجة، ومن أجل هذا فإن هذا الفصل لا يضم غير قسمين هما:

(1) العناية الصحية في الكويت عند بدايتها.

(2) الحديث عن موقع كويتي مألوف، وذكره في التاريخ قيم هو: مَلَح وسوف يأتي التفصيل عنه.

يضاف الى ذلك ما يتعلق باللهجة الكويتية كما هو معتاد في هذه الفصول. وهذا هو تفصيل ذلك:

1 ـ العناية الكويتية الصحية في بدايتها

كانت البلاد مع استمرار نموها في حاجة الى العناية الصحية التي تكفل كبح الأمراض وعلاج المواطنين. وقد كانت هذه العناية تتم على الطرق الشعبية وبأيدي أناس ذوي خبرة، وكانت أدويتهم لا تخرج عن الكي والأعشاب الطبية وتجبير الكسور.

وقد بدأت العناية الطبية في الكويت منذ عهد الشيخ مبارك الصباح (1896م ـ 1915م) الذي كان يبذل اهتماما كبيرا بالشأن الصحي في البلاد. ومن ذلك أنه أجرى اتصالات مع الوكيل السياسي البريطاني هذا بشأن انتداب طبيب يعالج المرضى، مما أحرج الوكيل المذكور وجعله يفتح المجال أمام الأهالي لكي يتلقى المرضى منهم العلاج عند الطبيب الخاص بالوكالة السياسية البريطانية في الكويت، وقد استمر ذلك الى أن بدأ العمل الحكومي في هذا المجال.

كانت رسالة الشيخ مبارك المشار اليها قد صدرت منه في اليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر لسنة 1904م، وكان الكابتن ناكس هو الوكيل السياسي لبريطانيا هنا.

ثم بدأت العناية الطبية الحقيقية بنشأة مستشفى الإرسالية الأميركية في سنة 1912م. ومن هنا بدأ العمل الصحي في التوسع، وقد شاهدت الكويت من تلك البدايات ما يلي:

أ ـ المستوصف الخيري

من الأعمال الشعبية الطبية التي قام بها أبناء الكويت في وقت لم تكن هناك تسهيلات في كثير من الأمور: مشروع المستوصف الخيري، وهو فرع من الجمعية الخيرية التي أنشأها عدد من المخلصين في سنة 1913م. وفي بيان تأسيسها ذكرت الجمعية أن من بين أعمالها جلب طبيب حاذق، وكذلك صيدلي بحيث يكونان مسلمين حاذقين لمداواة الفقراء والمحتاجين، حيث يتم علاجهم ويصرف لهم الدواء بالمجان. وقد جاء الاهتمام بهذا المشروع في وقت نشطت فيه الإرسالية الطبية الأميركية في الكويت، ما دفع بأبناء الكويت الى المسارعة لدعم الفكرة، وإبراز المستوصف الى حيز الوجود في أسرع وقت ممكن. وقد تبرع الكثيرون من أبناء البلاد لهذا العمل الطيب، فتهيأ للعاملين لإنشاء هذا المستوصف، وعلى رأسهم المرحوم فرحان بن فهد الخالد، مبلغ من المال، استطاعوا به البدء في العمل دون تردد، وقد اختارت الجمعية الخيرية الإسلامية منزلا ملائما بالقرب من المدرسة الأحمدية القديمة، الى الجنوب منها، وكان هذا المنزل مؤلفا من طابقين، الطابق العلوي منهما خصص للمستوصف، وفيه مقر الطبيب والصيدلية، أما الطابق السفلي فقد كان مخصصا للوعظ والإرشاد، وللمكتبة.

بذلت الجمعية كل ما في وسعها في سبيل القيام بعمل ممتاز، ولم يكن في نيتها أن تقدم مستوصفا لا يتمتع فيه المريض بالراحة ولا يجد فيه العلاج الناجح أو الدواء الناجع، فقامت بتأثيث المستوصف على خير وجه، وزودته بالأجهزة والأدوات الطبية الملائمة، وأمدته بالأدوية التي يحتاج اليها الطبيب في علاجه، ثم أحضرت طبيبا تركيا مسلما، وأحضرت ـ كذلك ـ ممرضا من جنسيته نفسها وبدأ العمل الذي من أجله حضرا الى الكويت، برعاية الجمعية وحسن متابعتها لكل الاحتياجات المطلوبة لحسن سير العمل، ولم يكتف أبناء الكويت بالتبرع المادي والعيني لهذا العمل الطيب، بل لقد تبرع بعضهم بالعمل على مساعدة الطبيب في مجال تمريض المرضى وتضميد الجرحى، وممن ذكر من هؤلاء مساعد بن عبدالعزيز الكليب وعبدالحميد بن عبدالعزيز الصانع رحمهما الله.

استمر المستوصف في عمله، وارتاح الناس الى خدماته، خلال سنة 1913م، وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في سنة 1914م كانت تركيا طرفا في الحرب بينما كانت الكويت في الطرف الآخر، فأمر الشيخ مبارك الصباح بأن يغادر الطبيب التركي البلاد، فتوقف المستوصف تبعا لذلك.

ب ـ المستوصف الحكومي

وقد أنشأت الحكومة مستوصفا هو الأول من نوعه في الكويت، وكان المرضى يقبلون عليه من كل مكان، يقع هذا المستوصف على يمين المتجه الى الشرق يفصل بينه وبين المدرسة الطريق الذي أعيد تأهيله ليصبح اليوم شارع الخليج العربي، وقد اشتُهر المستوصف باسم: الدختر السوري. وكلمة دختر هي النطق المقابل في اللهجة لكلمة دكتور، وأما السوري فقد جاءت نسبة الى الطبيب السوري، وكان الدكتور يحيى الحديدي وهو سوري الجنسية ـ آنذاك ـ وقد حصل على الجنسية الكويتية فيما بعد هو الطبيب المشرف على العمل والمسؤول عن العلاج لفترة طويلة هناك حتى أخذ المستوصف لقب السوري في مقابل اللقب الذي أطلق على مستشفى الإرسالية الأمريكية، فسمي: الأمريكي، أو الأمريكاني.

وكان العمل في هذا المستوصف قد بدأ في سنة 1939م، أما قدوم الدكتور الحديدي من سورية فكان في 1/6/1940م، وكان ثاني طبيب يعمل في دائرة الصحة بعد الدكتور عمر سلامة اللبناني الجنسية.

وأما مبنى المستوصف فقد كان مستأجرا من أحد التجار، وكان ديوانا خاصا بصاحبه. ومما يذكر أن مقر دائرة الصحة العامة كان ـ في وقت من الأوقات ـ في غرفة تقع في أعلى هذا المستوصف الى سنة 1949م.

2 ـ الموقع الكويتي "مَلَح"

نحن الآن في ربيع سنة 1954م، وسوف نتحدث عن موقعين من المواقع الكويتية المعروفة هما: المقوع وملح، وذلك لتجاورهما من جهة، ولاحتمال أن يكون اسم ملح كان في القديم يضم أرض المقوع بكاملها لعدة أسباب، منها:

1 ـ أن موقع ملح قديم الذكر في الكتب، ووقعت فيه أحداث قديمة ومتأخرة، وسوف نورد الأشعار التي ذكر فيها فيما بعد.

2 ـ أن موقع ملح متسع يشمل ما يطلق عليه هذا الاسم، كما يشمل بحرة ملح، وهي شق في الأرض تملؤه مياه الامطار عند هطولها، ويتدفق منها الى أماكن متعددة.

3 ـ أن المقوع ليس له ذكر قديم ولم يبرز إلا بعد أن استغلته شركة نفط الكويت حين بدأت أعمالها، وهو متكون من مرتفعات ومنخفضات تشبه في شكلها سطح ملح.

كل هذا يدعو الى الظن، والظن فحسب، أن اسم ملح كان يشمل ملح والمقوع في القديم. تحدثنا يوما عن العدان، وذكرنا أنه ينقسم الى قسمين، أحدهما بري، والآخر بحري، بمعنى أنه ملاصق للبحر، وقد ذكر كل من لوريمر وهارولد ديسكون المواقع التي يتكون منها العدان البري وكان منها ملح والمقوع.

والمقوع هو كما وصفه لوريمر يتكون من خمس آبار عمقها 18 قدما، والمياه صالحة للشرب، وكان على الطريق المؤدي الى الأحمدي، ولكن هذا الطريق أصبح غير مألوف بعد إنشاء الطرق الأخرى الموازية، وكذلك إنشاء مطار الكويت الذي قطع ذلك الطريق.

وفي المقوع بعض نشاطات شركة نفط الكويت، وكانت فيه بعض البيوت، ومستشفى، ثم تحول هذا المستشفى وبعض المباني هناك الى مدرستين إحداهما للبنين والأخرى للبنات، وقد أصبحت هذه المنطقة خالية في الوقت الحاضر من السكان، وذلك بعد نمو عدد من المناطق القريبة منها مثل الفروانية، وأبرق خيطان، اذ انه لا يفصل بين الموقعين إلا المطار، بالاضافة الى أن المنطقة غير صالحة للسكنى بسبب الاعمال النفطية وتأثر الجو بهذه الاعمال مما خشي معه التأثير على صحة السكان، ويبعد المقوع عن مدينة الكويت مسافة 26,5 كيلومترا.

وأما ملح فهو موقع مجاور للمقوع الى الغرب منه بمسافة ثلاثة كيلومترات، وكان فيه موضع مخصص للمقاولين الذين يعملون في مجال النفط.

وملح كما أشرنا فيما مضى موقع قديم لبني تميم فيه ماء مذكور في كتب الأماكن، وقد ذكره الشاعر الأموي جرير وهو شاعر تميمي فقال:

يا أيها الراكب المزجي مطيته
بلِّغْ تحيتنا، لقيت حملانا
بلغ رسائل عنا خف محملها
على فلانص لم يحملن حيرانا
كيما نقول إذا بلغت حاجتنا:
أنت الأمين، اذا مستأمن خانا
تهدي السلام لأهل الغور من ملح
هيهات من ملح بالغور مهدانا

وهنا نذكر ما قاله العلامة الشيخ حمد الجاسر بهذا الخصوص حين علق على قول الإمام محمد بن موسى الحازمي المنشور في كتابه الأماكن وهو من تحقيق الشيخ حمد (2/857).

كان الحازمي قد قال عن ملح (بفتح الميم واللام) إنه من ديار بني جعدة باليمامة، وكان تعليق الشيخ حمد كما يلي: «وبلاد جعدة في منطقة الأفلاج، جنوب اليمامة وما حولها، أما ملح الوارد في قول جرير فأراه الموضع الذي لايزال معروفا في منطقة الكويت، حيث بلاد تميم قديما...).

وأردف ذلك بقوله: «وأراه الوارد في شعر الأعشى».

أما ما جاء في شعر الأعشى، فهو ضمن القصيدة التي مدح بها إياس بن قبيصة الطائي ومنها:

إنما نحن كشيء فاسد
فإذا أصلحه الله صلح
كم رأينا من أناس هلكوا
ورأينا المرء عمرا بطلح
أفقا يجبى إليه خرجه
كان ما بين عمان فملح

(طلح: نعمة ورفاهية، الأفق: البالغ نهاية الكرم).

إذن فموقع ملح مشهور منذ القدم، تشهد له الاشعار التي ذكرناها، بل إن بعض الشعراء المتأخرين عن جرير كانوا يوردون ذكره في أشعارهم، ومن أولئك الشاعر المدائني وهو من متأخري العصر العباسي إذ يقول:

حننت وأين من ملح الحنين
لقد كذبتك ـ يا ناق ـ الظنون

ويقول:

فسقى الدار من ملح ملث
تحصحص في أسرته الحصون
الى أن تكتسي زهرا قشيبا
معالمها، وتعتم الحزون

وهذا الذكر الواسع مع عدم ذكر المقوع هو ما أثار ظننا بأن اسم ملح يشمل الموقعين، اذ لم نسمع عن المقوع في الشعر إلا ما قاله شاعر الكويت فهد العسكر عند زيارة له قصيرة لتلك المنطقة:

أشجى الرفاق تأوهي وتوجعي
وتمنعي عن شربها في المقوع
وأنا الذي بالأمس إن هي شعشعت
كم زف لي قدحي وغير مشعشع

وهي قصيدة طويلة يشكو فيها ما يعانيه من زمنه، ومن عقوق أبناء وطنه:

وطني ولي حق عليك أضعته
وحفظت حق الداعر المتسكع

□□□

أقدم ما جاء في الكتابات الحديثة عن ملح والمقوع ما ذكره لوريمر في موسوعته (دليل الخليج)، فقال عن المقوع: «يقع على بعد ميل واحد جنوب ملح، به خمس آبار عمق كل واحدة منها ثماني عشرة قدما، والمياه صالحة للشرب».

ويلاحظ أنه لم يتحدث عن ملح بأكثر من هذه الاشارة، واسم ملح اليوم منحصر في الجزء الغربي من المقوع.

وجاء هارولد ديكسون بعد ذلك بزمن ليقول في كتابه «الكويت وجاراتها» ما يلي:

«ملح: وهي خمس عشرة بئرا على بعد خمسة عشر ميلا الى الجنوب من مدينة الكويت، وثمانية أميال الى غرب قرية بوحليفة على الساحل، ويبلغ عمق هذه الآبار القريبة من حقل النفط في المقوع، عشرين قدما، ومياهها مائلة الى الملوحة، ولكنها صالحة للشرب»، ثم يضيف أمرا مهما بقوله: «وكانت أراضي ملح تزرع في السابق، وفيها بقايا حصن قديم».

أما المقوع فقال عنه إنه: «مكان يبعد ميلين عن ملح شمالا، فيه الحقل الاصغر من حقلي النفط التابعين لشركة نفط الكويت (33 بئرا)، وفيه أيضا المستشفى الرئيسي، ومركز التدريب، وهناك أيضا عدة آبار واحدة منها فقط تحتوي على مياه صالحة». ليست ملح ولا للمقوع أهمية سكانية، فهما اليوم خاليان من السكان، ولكنهما كانا يضمان عددا كبيرا من المساكن المؤقتة في أوائل الخمسينيات، اذ بدأ العمل جديا في التنقيب عن النفط في المقوع، وأصبح مقرا لعدد كبير من العاملين في استخراج النفط على مختلف مستوياتهم وجنسياتهم حتى لقد وجدناه يضم مستشفى مجهزا أفضل تجهيز لخدمة كافة العاملين، وعندما قلصت شركة نفط الكويت عملها هناك أهدت مبنى المستشفى لوزارة التربية التي حولته الى مدرسة في منتصف ستينيات القرن الماضي، الى أن انتقل جميع سكان المنطقة لعدم ملاءمتها للسكن فأغلقت المدرسة لانتفاء الحاجة اليها، وذلك ما سبق أن أشرنا اليه. بدأ التنقيب عن النفط في الموقع إبان سنة 1951م، ولم تأت سنة 1952م إلا والذهب الاسود ينساب من منابعه هناك، معلنا العثور على كنز جديد من كنوز النفط، وفي هذا العام بدأ الانتاج الفعلي لنفط المقوع.

وبدأ في الوقت نفسه انتاج حقل الاحمدي الذي لم يتقدم أو يتأخر عن مواعيد المقوع، وبذلك صارت الحقول الثلاثة المتقاربة: برقان والمقوع والاحمدي تنتج نفطا غزيرا، وصار يطلق على هذا الثلاثي اسم: «حقل برقان الكبير».

□□□

لا بأس في نهاية حديثنا هذا في أن نورد بعض المتفرقات عن المقوع الذي كان في يوم من الأيام مقرا كبيرا من مقرات العمل النفطي، وكانت فيه بعض المرافق العامة وكان فيه عدد لا بأس به من السكان، وإن كان بقاء كثيرين منهم مؤقتا بحسب حاجة العمل، وهذا هو ما يمكن أن نقوله في المتفرقات التي أشرنا اليها:

1 ـ كان عدد السكان يزيد وينقص بحسب الحاجة الى العمالة بمختلف درجاتها، فقد كان عدد هؤلاء في سنة 1965م، زهاء خمسة آلاف ومائة وأربع وثلاثين نسمة، ثم ازداد العدد زيادة كبيرة في سنة 1970م، ليصبح ثمانية آلاف وثلاثمائة واثنتين وعشرين نسمة، وقد عاد العدد بعد هذا الارتفاع الى الانخفاض التدريجي لأن الأمر قد استقر باكتشاف النفط وعمل تمديدات إسالته الى ميناء الاحمدي، فاكتفت شركة نفط الكويت بمركز التجميع الذي يحظى بالحراسة والعناية.

2 ـ عندما كانت أعداد الناس على الصورة السابقة كان للمقوع أمير عينه أمير البلاد ليتولى فض المنازعات بين السكان، ومراعاة احتياجاتهم وتمثيلهم لدى الدوائر الحكومية القريبة منه وبخاصة في الاحمدي، وكان آخر أمير للمقوع هو المرحوم مَرْشَد الشمري.

3 ـ مرشد بن عايد الشمري من أبطال معركة الجهراء المعروفين (1920م) وكان له موقف مشهود أكد بطولته، ولد في سنة 1898م، وفي المعركة كلفه الشيخ سالم المبارك الصباح قائد الجيش الكويتي آنذاك بالذهاب الى العاصمة لطلب النجدة من أهلها، وقد اخترق بحصانه الحصار الذي كان مضروبا على القصر الأحمر، ووصل الى الكويت في اليوم الحادي عشر من شهر أكتوبر لسنة 1920م، وكان لهذه الحركة التي قام بها دور كبير في إنهاء الحرب وخذلان المعتدين، ولم تنس له الدولة هذا الموقف فأطلقت اسمه على أحد شوارع الجهراء بحيث بدت بطولته هناك.

4 ـ لا ننسى أن نشير هنا الى أن اسم المقوع إنما جاء من اسم القاع، وفي اللهجة يطلق اسم (المقوع) على المنخفض في البر وفي البحر، ولذا فإننا نستطيع أن نقول إن لفظ المقوع له دلالة على شكل من أشكال سطح الأرض، ولا غرابة في أن نرى الاسم في مكان آخر، وها نحن اليوم نجد ما يطلق عليه اسم المقوع الشرقي تمييزا له عن المقوع الآخر. وكان هذا المقوع في شرقي العاصمة ولايزال معروفا بهذا الاسم حتى اليوم، استغلته الحكومة في السابق فأنشأت على أرضه عددا من المساكن لذوي الدخل المحدود وزعتها على طالبي السكن. وكان قبل ذلك مجموعة من الحفر التي كانت تستغل لعمل الجص، وهذه الحفر هي التي أعطته اسم: المقوع.

هذا فيما يتعلق بالبر، وأما في البحر فلا يقال عندنا: المقوع عن القاع البحري ولكن يقال في اللهجة: القوع.

جانب من حفل افتتاح المستشفى الأميري

المبنى القديم لوزارة الصحة

واجهة المستشفى الأميري لدى افتتاحه

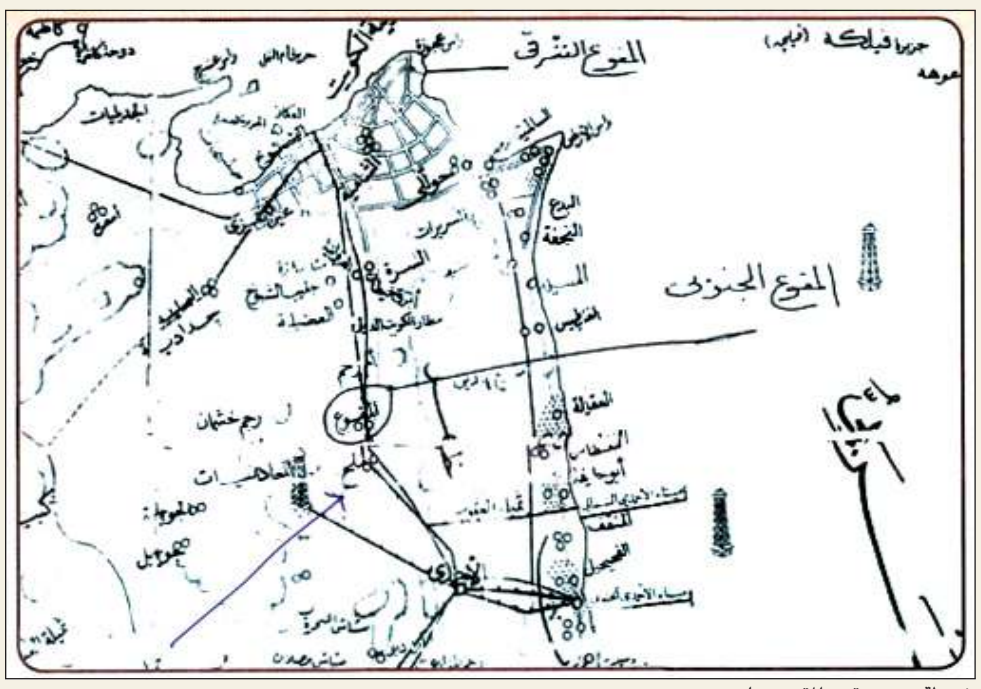

خريطة تبين موقعي المقوع وملح

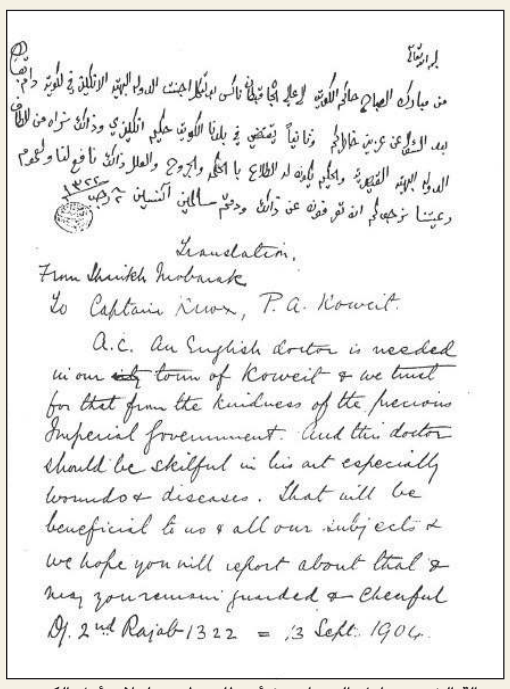

رسالة الشيخ مبارك الصباح بشأن طلب طبيب لعلاج أهل الكويت

حول اللهجة الكويتية

من ألفاظ لهجتنا أقدم ما يلي:

ـ الشوط في اللهجة هو السير السريع الى مسافة محددة قصيرة. كأن ترسل الأم ولدها الى بيت إحدى جاراتها فتقول له: خذ هذا الغرض وطق شوط الى بيت أم فلان، وعد سريعا.

فلفظ شوط هو ما وصفنا، ولفظ طق بمعنى ابدأ عاجلا بالذهاب وعد سريعا، وكلا اللفظين مما لا يرد على الألسنة حاليا.

ـ ومن اللهجة ـ أيضا ـ لفظ: دغاليب وهي دود صغار تأتي مع الماء قديما بسبب تراكم المياه في الخزانات الخشبية التي كانت السفن تحملها وفيها الماء المستورد.

وعندما يضع السقّاء حمولته في البيوت فإن الدغاليب تأتي معها ويصعب إزالتها وكان الأهالي يستعملون قماش الكوفية (الغترة) لتصفيته منها. ونحمد الله أننا لم نعد في حاجة الى ذلك النوع من الماء، ومعه زال لفظ الدغاليب.

ـ ومن الالفاظ التي توقف الأهالي عن استعمالها لفظ (شيت) ويلاحظ أنه يأتي مسبوقا بحرف النداء، وأما معناه فهو يحتمل كثيرا من الامور منها يا فلان. وقد ورد اللفظ في الشعر النبطي، ومن ذلك ما قاله الشاعر عبداللطيف عبدالرزاق الدين في قصيدة عنوانها «مشارهه»، ومعناها «عتاب» وفيها يعاتب صديقا له صدعنه، ومنها:

أسألك بالله واحد سامك البيت
واحد رفيع الشأن ماله صفات
ما اتقول في حقك أناويش سويت
وين الذي لك بأن عندك ثبات
وبش الذي حدك على الصدا شبت
ما تحضره يا كود تظهر براتي

ـ ومما نسي من الألفاظ لفظ (جُورَهْ) بمعنى شبيه أو مثيل. وكان يقال في حالات الخطاب ومن ذلك:

أ ـ اذا وصف شخص شيئا رائعا من أي نوع كان قال: هذا ماله جوره، أي ليس له مثيل.

ب ـ ويقال أحيانا: حمد ويوسف من جوره واحدة، أي انهما يتشابهان في كل شيء.

ج ـ ويقال ـ أيضا ـ عن شيء جميل: ما شفت جورته بالمعنى نفسه.

ـ ومن ألفاظ اللهجة الكويتية التي تكاد تُنسى قوله: دغش، وهو إخفاء السوء في القول وفي العمل، فيقال: كلامي لك واضح ما فيه دغش أي انه غير مخلوط بما يسيء إليك. ولم يعد أحد في أيامنا هذه يستعمل هذا اللفظ.

ـ لفظ امداهر هو الآخر من الألفاظ المهجورة في اللهجة الكويتية، ويقصد به الجدال فيما لا طائل وراءه من فائدة. ويطلق على الشخص الذي يكثر الجدال: دهري، بكسر الدال.

ـ ولفظ سمردحه يطلق على الأرض الواسعة التي ليس بها عوائق. ويطلق أيضا من باب المبالغة على الغرف الواسعة أو القاعات التي تستعمل للجلوس. فاللفظ وصف لذلك كله.

ـ الرشم: لفظ قديم صار له اليوم بديل دارج على الألسنة وهو: الختم الذي تختم به الرسائل والأوراق الرسمية.